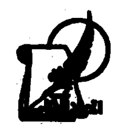
شعر



غناء الأشياء

د. حسين على محمد

رئيس مجلس الإدارة :

فاروق خورشيد

مقرر لجنة النشر:

أحمد الشيخ

الإشراف العام :

أحمد سويلم

تصميم الغلاف إهداء من :

الفنان إيهاب شاكر

الإهـــداء..

إلى فاطمـــــــة

غناء الأشياء

حين تغنين مساءْ

عيناك تشعان بضوء لايخفت فى الظلماءْ

أنفاسك تحملنى لربيع النشوةِ

فوق جواد الزمن العداءْ

هل تجهل بوحى عيناك..

أيا وردة أيامى البيضاء؟

لم يكد العام يتم الدوره

هل تبصرنى عيناك الآن وحيداً فى الصحراء؟

هأنذا أجلس وحدى..

أنتظر الأشجار تعود محملة بالأثمار..

تغنين..

فيمتلىء الصوت بعطر اللهفة واللألاء

أتكسر فى الشطآن شظايا

أفتح أسفارك للريح لتكتب ماشاءت فيها:

شعرى وشم فوق جبينك..

هذا القلب يدمدم

يا للريح الفظة والأنواء

تلقى برمال الفضة

فوق القدم البيضاء
أذكر كيف تلاقينا ذات صباح
رددنا أكذب ماقال الشعراء!
كنا لم نسمع بعد عن العاصفة الهوجاء
تحت سمائك لا أسمع
غير ترانيم الحب
إضاءات الشوق
حنين الناي..
وميض البرق
غناء الأشياء!

ديرب نجم
٢٧ / ٢ / ١٩٨٢

الخروج من القصيدة

أسير على الرمل
أحمل أمتعتى
بوح عشق تحطم
أنقاض بيت تهدم
وردة حب..
تقاسمها العاشقان بليل الكمدْ
--
أافتح صدراً
يمزقه اليأس منك؟
أفتش عنك
وأرجع للماء ورْدة الأحبة
أعددت لى قهوة مرة
هل تعود العصافير للماء؟
هل يتفتح فى الروض زهر الغناء؟
وهل تتفجر مملكة العشق..
بين رياض الجسد؟

الزقازيق
٤ / ٦ / ١٩٨٦

نبوءة

يوماً كالأشجار سخيًا سيجىء
يفتح أبواب الدهشة
تبصر أعينكم مالم تبصر من قبل
يحمل مشعله ويضىء
النار سيشعلها فى الأحداق النائمة زماناً
لينقيكم
لن يصعد مطريكم حدقات عيونكمو، ويغنى:
« ورمانا الهوى ورمانا»
ويخدركم
فالقادم أشعل فى الأشجار الهشّهْ..
نار الدهشهْ

ديرب نجم
١٢ / ١٢ / ١٩٨٢

حُلم

تجيئين..
تأتى العصافير
يشتعل اللحن فى الشفة العاشقةْ
أغنى سنابلك / البحر
تمنحنى ما أريد
تهلين فى خطوة واثقةْ
أهذا الخريف الثقيل أتى بغتة
وظلك يحلم
يملأ سلته بالوعود
يجف الرحيقْ،
ويتسع الجرح
تطفأ فى الدم وردة بوحك
إنى أرى بيننا غابة من سدود

ديرب نجم
١٨ / ٢ / ١٩٨٣

العنكبوت

تصالح والعنكبوت
وأخفى عن الشمس أفكاره السيئات
تحصن بالصمت
مرتدياً فضلات السكوت
وأبصر كيف الممالك تهوى
وكيف العروش تموت
وظل يخاطبنا والرياح تدوِّى
عن القصر،
والنصر،
والرهبوت

صنعاء
١٤ / ٥ / ١٩٨٧

الرحيل

أترحلُ فى ليالٍ يائساتٍ
بأفراسٍ ضَوامرَ سابحاتِ
«ولا حادٍ هناك ولا طريقٌ»
وتنهلُ من كؤوسٍ مُذنباتِ
وقلبُكَ آفل، والشمسُ حُلْمٌ
أتُشرقُ بعدَ موتِكَ فى الغداةِ؟
أأعبُرُ جسرَ أحزانى وأمضى
كبرْقٍ فى الليالى الدّامساتِ؟
وصوتُ الفجرِ يهتفُ: يافؤادى
أصِخْ سمعاً لضوْضاءِ الحياةِ
غداً أشدو، غداً أشدو، وأشدو
بأنغامِ الحياةِ الباسِمَاتِ!!

الرياض
١٨ / ١١ / ١٩٩٣

تساؤل

ليست نافورات الدم
فى « ميدان التحرير » بصنعاء
أو ماء «سيولِ زبيدْ»
أو «غيل الشلاله»
قادرة أن تتشبه بمشاعره الدفاقهْ
من أين يباغتك الليلة - يا «فاطم» - بالشعر إذن؟!

اليمن : بنى على
٢٤ / ١٠ / ١٩٨٥

حيْرة

أقف صباحا بين التقويمين

أسأل تقويم العصف عن الموج

وهل يعلوه " الثور " المائل فى " البرج

أسأل ذاكرة الصحراء

عن الماء

عن الأشياء

ونصفى مسفوح..

فى أعمدة الصحف اليومية

- تلك الصحف الصفراء -

فمن ينقذنى من نفسى

.. من ليل الداء؟

ومن ينقذنى من لغو الثرثرة الجوفاء؟

أأرحل من مدن الصمت المطبق

من مدن الموت

إلى البيداء؟

أأبنى أهرام الوهم صباحاً

ظهراً

ليلاً

صيفاً

وشتاء

هل أهلك روحى قهراً

فى أزمنة الغرباء / التعساء؟!

صنعاء

١٧ / ٢ / ١٨٩

رجع الصدى

١ ـ الصوت

تأنقت في الحنايا — حروف شوقي صبايا
ورحت أنفخ فيها — في الفجر بعض شذايا
تأججت كسعير — ودمدمت لندايا
ومأوها يتلالا — في الأوج.. ياللخفايا
اجسمها أم اريج — يهز قلب شجايا؟
تهاجس الأفق ورداً — للنار مُدَّت يدايا
حملتها في انكساري — بلهفتي وشقايا
ورحت اقطع سهلاً — ألم تطامن خطايا
باللمفاوز تزجي — في القلب خوف المنايا
وجرح قلبيَ يغفو — على أنين بكايا
مرافيء الحلم ولت — وضاع مني هُدايا
وسر سري بعيد — وأحرفي مشتهايا
فضاؤها العذب حلمي — وقلب قلبي مرايا
ونهرها صوت عشقي — وظِلُّ أفقي صدايا

٢ ـ الصدى

لن تكشف الآن سـري — أو شقشقات لغايا
أوسفسطات عزيف — تفجرت في دمايا
هل كنت غير غرير — يرمي حجار الحنايا
ومن ضفاف جحيم — يخاف وشي المنايا
من نفثة الحرف تخشى — وقاتلات الحكايا
هل كنت أطياف نور — غدا بدربي خطايا
أم كنت ناراً بخلدي — لم تبق مني بقايا
اكنت عاري وحزني — وصوت صمت بكايا
أم كنت ميلاد قهر — في صحوتي وسمايا؟
فصرت روحا غريبا — وصار دربي شظايا

الرياض
٢ / ١٠ / ١٩٩٣

دماء الطواويس

دماء الطواويس خارجة
بالصدر الغيوم القعيده!
دماء الطواويس رائحة
عبر قلبى المضمخ باللهو
فى شرفات الصحارى البعيدةِ
فى شرفات الصحارى البعيدةِ
فى شرفات الصحارى البعيده
.. وينكسر النص تحت سياط ضجيج المدينة
والبهلوان المراود
- .. باللغزال المباغت -
يقفز فوق سطور التذكر
يصفعنى برماد الشريده
فكيف يجىء سراب القصيده

ديرب نجم
١٩٩٠/٩/١

القصيـــدة

* النشيد الأول *

١

أيتها المهرة
كونى صدراً من نار
يذبح صمت الليل
ويبقر بطن الوجع الكاذب
فى قلب الموال الأخضر

٢

.. فصهيلك يجعلنى أحترف الوحدة
أحلب ضرع العشق،
وأسكر فى ثوب النشوة
آكل أثمارك فى قارعة الحلم
ـ أيا صاحبة البهجة والعصمة ـ
تقهرنى سطوة عشقك فى ليل الصمت
(وسجنى، والحراس
وأقفال الزنزانة)
هم يلهون بأوراق التاريخ المثمرة
على أفنانك
(ثمراً مرًّا)

يشرب كاسرهم آخر قطرات
تتدحرج من ساقية العهر الملفوف
بأوراق الريح الصرصر

* النشيد الثانى *

ألقيتنى والنار فى كبدى
للعاصف الفتاك والمسد
ألقيتنى صبحاً، وقلت متى
تستنزف الألحان من جسدى
العازف المجنون أرقنى
والنازف الغرِّيد للأبد!

* النشيد الثالث *

الحزن يدحرج حلمى
حزنى يمتد على الأسفلت عبيراً
(أحلم بعصافيرك تجتاز الأسوار
وتغريدك يقتحم خوائى
فى منتصف الرغبة)
أمسك جمرة عشقى
هذا حبك فى صدرى أثمر

* النشيد الرابع *

اعتذارية :
(معارضة لقصيدة لعبد الله البردونى)
لست من نسل عنتره والسيوف المظفره

ليس لى سيف خالد والفتوح المطهره
كيف أستحصد الرؤى اكتب المجد أسطره
بينما نبض قصتى ساقة البرق مسخره
هل رأيتم عشيرتى تعلك الحرب مسعره؟
عن يمينى الأكاسره عن يسارى القياصره
وأنا بعد جاهل دمية للسماسره
والبيانات جمة والخيانات سافره!

* * *

أجرع الخوف لذة هارباً من جبابره
أكل الجبن هانئا خائفا من مؤامره
أخطب الصبح ممسيا انشد الشعر ثرثره!
أحمل الشك خنجرا أقتفى الوهم زمجره
أشتم الليل خلسة أمدح الكلب جمهره!

* * *

مطلع الفجر كذبة للجموع المخدره!
الصباحات نكتة تحرق الروح قاهره!!
والمساءات مهرة فى الفيافى مسافره
ضاع أمس، انتهى غدى والحكايا مكرره
تحت ليل مضرج عشته ألف مجزره

* النشيد الخامس *

١

أغفيت قليلا
ورأيتك فوق الجدران
(أكانت تفزعنى رؤيا فاجعة
فخرجت إلى الشارع..
عيناى مفتحتان ...)
وأبصرت النسوة يخرجن من الأثواب
وأبصرت الأجساد المترهلة
الأجساد الممصوصة
والقامات المشوقة
أبصرت الأثداء تميل على البطن
وفى الأفواه الحلمات النهمة
(والنهر يفيض
... وأبصرت الشاعر ينشد،
ورجالا ونساء ملتفين)
* راحل فى البلاد/ الوهاد
الجبال/ العراض
وموتى تكرس فى لهوهنَّ
وبعثى تأجل فى هجرهنَّ
وهذا البياض يحاصر قلباً
تعلق عمراً بهنَّ

والثانى يتغزل:

* وأخذت منها قبلة
كانت حزينه
والبدر يسبح فى الظلام
تنأى فتبتعد السكينه
والنهد تفاح وسكر
وأنا على الطرقات طفل
قد تعثر
ألهوه بالمزمار
واللعبات
والثوب المعطر
أخذت تباعد وجهها البلور
عن وجهى الذى
ماخان يوماً أو تعثر

والثالث يشدو: * لا جدوى..

٢

لا جدوى من شعر الشعراء
فلأرجع للوحدة
تزدحم الذاكرة بصورة أقدامٍ عاريةٍ
متشققة
وبأرغف خبز فى لون الطين
وكف تهوى فوق الكف
وإبلٍ تجرى فى الصحراءِ

٣

تلك وحوش ضارية، وخيول

خرجت من ربقتها

أين الصوت الصادح

صوتك يا خضراء؟

كيف تبدو السماء فى عينيه

تتشظى على لظى مفرقيه

وإذا غاب فى الوداد عناق

أورقَ الشعرُ فى ربا كفيه

مر عمرٌ، وظل ينزف شوقاً

فى هواها، فكيف هانت عليه

* النشيد السادس *

عشت أحبك، وأود دخول حدائقك الوحشيه

لكنك دججت مداخلك السريه

ونوافذك الدريه

بجيوش كالنمل

وسلاح

وضجيج

هذى خيلى.. تبعدها الرهبه

كيف سأقتحم العقبه؟

* النشيد السابع *

تأتى فاتنتى الليلة
صاهلة بالحب
ومثقلة بالبوح
تحدثنى عن فتنتها الشرسة
قد حاصرها فى الليل البوم
أخفف عنها
وأطوقها فى حضنىَ
يفاجئنى نرجسها بالخنجر فى الصدر
وندخل بهو الفرحة منتشيين
عرايا
أبصرنا نتهادى ورد الألفة
إنى نشوان، وجسمك يتفتح
تتدلى أثمارك، وعناقيدك
هل نستيقظ فى الفجر؟

* النشيد الثامن *

أبى - الآن - يطرق بابى، ويدخل
يخرج،
يمتحن الآن هذى البلاد الجديدة
- أين سميحة؟
- ترجع بعد قليل من الحقل
... ذاك حسين
مضى يتعلم،

يكتب شعراً، يحاور نجماً بعيداً

يسامره من زمان قديم

ويخشى الأفول

*

وتأرق عينا أبى

مضى يتذكر

ماتت «أمينة» منذ زمان بعيد

ويغفو..

(أكنت المسافر وحدى

.. وهذى هى الدار؟)

ـ دعنى أصلى صلاة المسافر

هذا هو النهر

هذا هو الفجر

دعنى أصلى صلاة الوصول

*

يقوم يقبل وجه سميحة

فى رعشة خاطفه

...

ويغلق نافذة الوقت

يصغى لصوت بعيد، (يغمغم)

هيا افتحى الباب للريح، وانتظرى العاصفهْ

* النشيد التاسع *

بعيداً عنك يا خضراء، عن شعرى وأنهارى
سأجرع وحدتى صبراً، بجوف الليل
وأنصب فى دمى المسفوك خيماتى
وخيباتى
وأكشف عن عذاباتى
بوادى الويل
وأسأل طيفك الآتى
عن الشعر الذى قد كان تذكارى
وجمر هواك فى نبضات قيثارى
وحلمك ذلك الموار بالأضواء
والنار
وفى تذكارك العاتى
تدفقت الرؤى خجلى
تنادى فجرك الوضاء
(أيشرق مرة أخرى
يكاشفنى بفاتحة من الطهر
وأطياف من الشعر)
... ولا يأتى
فأجلس فى غياهب وحدتى
أبكيك يا خضراء
وأمسح دمعة أخرى
بحجم الداء!

الرياض
٥/١٠/١٩٩٤م

حـــد السأم

عبرت تخوم السنين
إلى الأربعين
وقاربت حد السأم
وفاضت سيول الجنون مع الفجر
عاثت فلول الألم
لمن يُكتبُ الشعر
والبحر ملح أجاجٌ
ولا حول لي لأقول: نعم!

صنعاء
١٢/٦/١٩٨٦م

وردة من دماء

أقول لها:
زورقى.. موعدى/ المنحنى
فنافذتى تتسهد نافرة لانتظار النداءْ
أأكتشف البحر..
إذ يتفضض لون الغبار؟
وينحدر الزبد/ الموج
حتى أعانق فيك غناء السماءْ
وجرح بدايات هذا الضياءْ]
(أينفرج الزمن الوغد
فى سلة الأمنيات
عن الأفق تملؤه وردة من دماء؟)

صنعاء
١٩٨٦/٩/٢٨م

امتحان

أربع ورداتْ
يملأن جرار الماءْ
أوثقن الشاطئ فى استحياءْ
لم يستطع السير
ظل سعيدا يتغزل فى الفتنة
(نائمة كانت)
من يجعلها تستيقظ
كى تشعل فىَّ الوجع الغائب؟!

ديرب نجم
٤/٦/١٩٩٠م

أنت الشعر

(إلى الأستاذ الشاعر بدر بدير حسن
في عيد ميلاده الستين، وخروجه إلى
المعاش)

قد آن للشاعر المشتاق تغريدُ
وحـــان للنغم المقـــمـــوع ترديدُ
وافرحتاه لنسر ظل محتبسا
وصنوه في ســمــاء الشـرق غـرِّيد
قد كسر القيد لا عادت سلاسله
وعانق الأفق من في الشعر محسود
ما جف بحرك يا من ظل مورده
عـذباً، وغنت لـه الغـيـد، الأمــاليـد
كم كنت أحبس آهات يفيض بها
صـــدر بحـبك مـفـتـون ومـفـؤود
إذ أنت في الأسر تبكي كل شاردة
يقصيك عنها العضاريط الرعاديد
وتكتم النغم العذب الذي فتنت
بســحــر الحـــانه هذي الأغــاريد

لئن بعدنا فلم نسعد لمحلفكم

ولم نشـــارك لبـــيـــد دونهـــا بيـــد

فإن هذا بيانى لن يزاحمه

فى ســاحـة الحب ندٌ فـيـه تـخليـدُ

عيد خروجك للآفاق تيَّمها

حب لشـــعـــرك.. أنت الآن مـــولـود

غرد بشعرك فى الدنيا يردده

هذا الزمـان، فـأنت الشـعـر والعـود

الرياض ١٤/١٢/١٩٩٤م

الغربـان

الأصفر يقتحم الذاكرة

ويعصف بالألوان

وجراد يلتهم الجثة

فى اطمئنان!

والديدان..

تلهو بالجسد الجيفه

والغربان

تمتلك الساحة

...

قل لى:

ماذا تصنع بالأوزان؟

صنعاء ٤/٦/١٩٨٦م

جحيم الوردة

عناقيد جمرك تقذف بى فى الجحيم
يراودنى الماء عن غور عمر رجيم
تقافز
فوق الأسنة والفكر الذاهله
أسارير روحك
تحضن بين الغمام الجراح..
وعاصف شوق
بحجم المحيطات والأخيله
وكنت رسمتك بين المياه
بنفسجة للمغامر
لما يعض السؤال نواجذه
يلتقى فى الطريق المغاير صوتك..
يفتتح الزلزله!!

* *

وأنت - كما أنت - تمتشقين الحسام
ونبضك زقزقة الطير، هذا العذاب
يحاصرنى البرق

خاصرة الرمل تهتز، تبعثنى من موات
وأيتك الطيب المستطاب
تمدد ظلك فوق الفراش
يبلله الصوت
والنغمات العِذابْ
وهذا الغمامَ الندى/ الرضاب
وأفقك ظلُّ الفراديس
تفتح فى الليل أبوابها.....
...
هل تعودين لى فى مساءٍ
يضمخه الشوق
أيتها المهرة الصاهلهْ؟

صنعاء ١٩٨٧/٥/٣

مملكة الصمت

له الآن مملكة الصمت منذ ليالْ

له دفقة القلب، والنيل فيض الجمالْ

...

له سطرها المتألق عطرا

له نبضها المتجسد برقا

له سدة البوح، والجرح بعض احتمال!

...

لماذا إذن كان يذوى وحيداً

بعيداً

وهاجسه: الطمى، والبرتقال

وصفصافة تستحم على الرمل

تمسح قلب المعنى

بفيض الظلال؟!

صنعاء ١٩٨٨/٣/٩م

أفق آخـــر

أقلامٌ
أطفالٌ
خوذاتٌ
ونساءْ
يتجرعن الغصص على أفئدة..
ضاعت في وهج الشمس مليًا
فاسود الأفق بلون الحناء
واتسع الجرح..
بحجم الداء!!

ديرب نجم ١٩٩١/٢/٥م

وردتك الأخـــــرى

(إلى الشاعر الصديق: على منصور)

وردتك الأخرى..
تتفتح جرحا
فى حجم جحيمك يا ابن المنصور
وتكاشفك الآن
بالوجع المقهور
*
اضمم وردتك مليًا فى الظهر
وكاشفها عن حرقة روحك...
هذا كأس الدمع.. تجرعه..
عشقاً أو نسكا
*
يستلقى فى الكرسى الآخر
يمضى مرتعداً من ضربة شمس
أيوجهها الجنرال الأبله
نحو رؤوس القوم
الفارغةالصلعاء؟
...

فى هذى الغيبوبة تستيقظ شمسك، وتدور برفق
حول الرأس المتبلد كبراً وهلاكاً
فلرب قريباً نبصر فرداً
من مئةٍ
من ألفٍ
من مليونٍ
من مئتى مليونٍ
يتكلم ذات نهارٍ للجنرال
اللابس شارات الجنرالات
ويزهو منتفخا فى استعلاء
حتى لو لم نبصره قديماً جندياً..
فى داوريةٍ
فى قريه
فى شرق البصرة..
أو فى سامراء

ديرب نجم ٣/٨/١٩٩٠

تكويـــن

يامانحتى سر التكوين وغيمات جروحى
كيف تغيبين وتبعد أشرعتك عن مرفأ روحى؟
أسأل:
من يذبح طير الرغبةْ
من أطلق خفاش الرهبةْ
كى يمرق بين العينين
وطهر شذاك المسفوح؟
آذنتك بوعود البهجة
أطلقت شهاب اللفظة
فى أرجاء اللحظة
كى أقتحم الآتى..
ببشاراتى

صنعاء ١٥ / ١٠ / ١٩٨٥

الخـــــوف

الحزن الليلة مجنون

أيقرر موتى

فوق الأعشاب المسكونة

ببلاغة صمتى؟

الرياض ٢٠ / ٩ / ١٩٩٣

وردة البـــوح

وقلت : غدا تشرقين
وفى خَطوك البرق
فى صدرك الشوق
علم اليقينْ
وخلف جدار التوجس أرقب وعدك
هل تحضرين؟
وهل يرحل الليل فى سترة المتنكر
يطفو على السطح رعب الجنون؟

*

تهلين كوكب عمرى
فيسطع فى داخل الكهف نور
وصدرى يقفز
يبزغ فى الظلمات الضياء الحنون

*

تغيبين كوكب عمرى
فيهمس بالحب قلب تعذب

يُغرس نصلك فى الصدر
فى نشوة الفاتحين!
أنا الآن صوتك يخترق الخوف
عطرك يمتشق الحرف
جرحك
بوحك
عطر السنين
*
أأخرج قلبى
ليبصره العالمون
وصدرى طعين؟

ديرب نجم ٣ / ١١ / ١٩٨٢

فضـــاءات

تتأجج فى بعض الأحيان حروف النارْ
تتأجج كالإعصار
فى قبعةٍ ماتعة،
ورداءٍ، وإزارٍ، وسوارْ
تتأجج، لاتنطفىء، لهيباً وأُوار
تستلب الماء / الألق / السنبلة / الأوجْ
تدفعنى أن أحتمىَ بزبد الموجْ
وتهاجسنى عن عاصفةٍ / قاصفةٍ
تقتلع الجبل / النخل / الأسوار / الأشجارْ
تتسع جراحى فى إبهار!!
ترسم طيراً أخضرْ
يخرج من حنجرتى
يخترق مرافىء حلم ثرثار
تتقاذفه ليلات حبلى بالأسرار
وتهدهد أحرفه العشر
وفضاءاتى مترعة برحيق النهر!!

صنعاء ١٧ / ٣ / ١٩٨٨

حكاية النهـــر

أليس فى الطريق غير خوذةٍ
وريشةٍ
وتاجْ؟
فى أول الطريق كرمة، سياج
وبعد خطوة..
حديثنا الملىء بالبروق واللجاج
وبعد خطوتين أبصر الغمام
يحاصر الرجال بالرعود.. والكلام

* *

الفأس فى رقابكم
واليأس فى قلوبكم
وذا أنا مضيت فى قناع من عبس
وزادىَ الأخير
عراقة الموال، وانبثاقة القبس
وقلت للفرس:
تجوب أرض الملح، والعذاب والخرس
وتقرع الخطوب
(أتقتل البلاد فارساً يجوب..؟)

* *

الطيف صاعد مدارج الأفق

منمق حديثه النزق
محاصر خياليَ المجنونْ
فقلت: من تكون؟
فقال: عاشق جداول الضياء
- أأنت طلعتى؟
يقول : إننى النقاء!!
- أأنت خمرتى؟
يقول: إننى الإناء!!

* *

النهر فى الأفول
مسافر فى دورة الفصول
وهذه الفئران فى الحقول
تقول :
الآخرون
مدربون
ويعلمون الخفقة الملونه
ويرصدون منحنى الوجيب
ونظرة العيون!

* *

وفوق حبل مقصله
يتم نهرنا حكايته..
/ حكاية المعاند
فقد رأى
وقد علم
وقد نطق
وقد أخل النهر بالقواعد!!

بغداد ٢٦ / ٤ / ١٩٨٤

العشب الرمليُ

فى كل صباحْ
أمشى فوق العشب الرملى
يرافقنى النبع المتسرب من كفىٌ مع الأحزان
أحلم
(أرضك يابلقيس جحيم، فى حجم جحيم النزف
يساكننا فيها طير الوحشة والحرمان)
أختصر سرابك، يدفق مائى فى صحراء الوقتْ
فلماذا أنفجر شظايا
فى وطأة هذا الصمتْ
هل تسكننى غيبوبتك الموصولة
وتنادمنى بأهازيج الموتْ؟

* *

أيتها الأصوات النائمة دهوراً فى الغيبوبة
غرى غيرى..
وابتعدى عن برى
إنى أخشى لدغتك القاتلة.. فغيبى عن مرفأ شعرى

الرياض ٣١ / ٤

العـــودة

مات الغريب
ولم يضىء فى الليل قنديلا
ولم يشعل ببسمته شوارعنا الفساح

* *

كانت أنامله، وريشته الجميلة..
فى دياجى الليل.. أنواراً مضمخة
بجرح البلبل المسكون بالوجع المباح

* *

كانت قصائده الحميمة
فى شوارعنا - التى تغفو بآخر ليلها -
تشتاق أن يأتى الصباح

* *

(هل كنت أول عاشق يهفو إلى صبح اليمام
وأنت تسكب فى مدامعك الجراح؟)

صنعاء ٢٣ / ٥ / ١٩٨٩

رسائل إلى بيجوفيتش

١ - كرب:

مرت أفراس الصرب/ الكروات

وكنت تروض أمواج الدهشة

فى دفتر كرب يتجدد

لم ألحظ حزنك

مرت أرتال الصرب/ الكروات سراعاً

فوق تفاعيلك

لم أتنبه للحيرة

كانت أحزانى تسألنى

عن رعب اللحظة وعلوج الصرب/ الكروات تهدد:

لا تعزف أنشودتك الأولى يابيجوفيتش

فى جند محمد

صوتك يرعد:

من يطلب منى أن أقبر شوقى

بين وريقات خريفى فى هذا الطقس الأسود؟

٢ - أغنيتان إلى سراييفو.. وبيجوفيتش

من أبصر الورد يمضى   إلى ضفاف العناكب
فيزهر الجــرح حــزنــا   على مـروج الخرائب
ويُحْمل الفجَــر غـــدْراً   إلى ظلال الغياهب!
وتدهش الأرض حيناً
لما جناه الثعالبْ
كم ذا تغنى وحيداً
ولا تخاف العواقبْ!

٣ - أمطار سوداء:

المطر الأسود يتدفق
يعزف معزوفته الهوجاء
يحمل جثة شجر الحكمه
يصرخ فى ألحانى
بفيوض من ضوضاء
ويفاجئنى إذ يسقطنى..
لغة ينخر فيها الداء
قبل بزوغ صباحك.. ياخضراء!

٤ - برقية إلى بيجوفيتش:

كيف الحال؟
مازلت تعيش كما تحيا السمكة فى القفر
مازلت تغنى

لكن.. يهرب منك الشعر!
مازلت تمارس ملحمة صمودك
لا تعبأ بالخوف.. الموت.. القهر
مازلت تقاوم.. وتغنى للحب!
مازال يروعك صوت الباطل فى ليل القر:
فاوض واقبل ما يمنحه الغرب!
...!.
مازلت تقاوم كالنسر خنازير الصرب
...
كيف الحال؟
مازلت تعيش وتحلم كالأطفال
مازلت تدحرج طاولة الوقت
وتسمع قيل وقال
مازلت تشاهد تلك الأعمال
مازلت تطارد شرنقة الحلم
وتفرطها فجراً أخضر
فى عبق الموال!

٥ ـ فى انتظار خيول محمد الفاتح:

لازالت تركض خيل الإسراء عشياً
فى لغة آسرة تفصح عن فتنتها
فى قيثارتها الفتح
على صهوتها القعقاع

وتحت سنابكها «القُلّيسُ»، «مناةُ»
وفى دفترك بقايا عشق
لم يطمس غاز فى الليل الدامس
نبض هويتها
وبحار لم يفجأها قرصان
وجراح الغيم
وبعض جذورٍ
أطفال خُضرٌ يتلون «براءة» و «الفتح »
ولم يستأنس نبضهمو
إغضاء الخوف
أو الإملاق الكاسر
أو شعر يكشف عن هجنته
أو أحرف عار تكشف عن سقطتها!
تتورم فى الأفق فصول العار
وتفغر أفواه الدهشة عن خيبتها
والقافلة عشيًا..
أسكرها المنكر
سقطت فى وهدة غفلتها!
أنت الحادى الصادق
فاصرخ فى جند محمد
ناد المجد المدبر
أيقظه مساء

أو قبل أذان الفجر

(أتقدر؟)

تلك كباش الصرب/ الكروات تحوطك

تغتصب عفيفاتك..

تشعل جذوة عارٍ يكشف عن كبوتها

...

وبقايا أمتك تغط أنيناً فى نومتها!

أيقظها يا صوت محمد

أشعل جمرة شوقك فى غضبتها!

الرياض ٦ / ١ / ١٩٩٣

هل هذا فضاؤك يا أيها الرمل؟

تثاءبت مثل فضائك ـ يا أيها الرمل ـ قبل الخصامْ
وعشت حياتك
والعشب يفتح بوابة العصف دونى
فأين حروف الكلام؟
تعال إلى شمس عزفى
وغطِّ غيوما، نيازك
قد أثقلتها خطاك
وهذا الذبيح/ السلام
وذلك صوت بياضك فى الأفق
صار إزائى وحيدا
يعيش بأفق النيام
وبيتك يكبر،
عاصفة الوهم تكبر
تعصف بالحلم،
مُؤْذِنةً بالزوال/ الظلام

* *

فأين مواسم شعرك يا أيها المتفجر عشقاً
وهاجسك الصمت والغصص المتخثر
بين فصول الغرام؟!

الرياض ٣/١١/١٩٩٤

تجربة للنهر

دعنى يانهرى
امتلك بياض الدهشة، وجنونى
أسقيه
أطعمه
أتبعه
فى أعشاب اللغة الطفلة
أتنقل فى أرجاء الوهم!

* *

الغيم يرافقنى
يمشى خلف خطاىْ
يستدرج عصراً
يسرج خيلاً
يتغرب، يعجب
يرسل صيحته السريه
كى تستدرج أسراب الصمت
إلى الموت المعلن

مثل الأشجار الغضة

يأخذني للنبع

يملك أوراقاً، أقنعةً، أرصفةً

أدخل - من هذا العشب - إلى أوردة النهر

وأمنحها تذكاراتي

.. من أخبرها أني أترك أوردتي الأولى

وأسدد رمحي للنهر المانح؟؟

(يدرك أني أمزح، أهذر

فيساقيني نخب قصيد يتشكل)

- هذان شهابان صغيران

فدحرج خطوهما في درج القلب

وكن في الليل جميلاً

وقويا!

الرياض ٦/١٠/١٩٩٣

أوراق العمر الضائع

(أو شموس غاربة)

١ ـ توطئة:

حين أتانى طيف شجيرتها يطلب واحة عمرى
كى يستلقى من غربته الموحشة القحلة
فوق ضفاف الصيف
قلت: ابتعدى عنى
لا أقدر أن أحميك
فهذا الليل جدار، يمتد بأغوار العمر
(لماذا يتهددنى القحط؟)
وإنى روح قلق
يتحرق فى محرقتك،
يهوى

* *

لم تسمعنى أذناك
وشدتنى عيناك اللؤلؤتان،
وألقتنى للبحر الغامض
كان النور الوردى الهادىء فى الظلمات

يضىء مغارة روحى
يتفتح ورداً فوق صخور الشطآن،
فأبحرت وقلبى
هأنذا روح يستجلى حضرتك
وصوتك يهمس للبحر
(أحاول أن أستكشف سر غموض الطيف)

* *

هاجسك الغيم
وجرحك يستمطرنى الوعد
فأصعد مدرجة الأفق
أنمق فى الظلماء حديثاً (يحتدم بآفاق النفس)
يحاصرنى صوت السدنة:
من أنت؟
أتعشق جدول ضوء؟
أبصر فوق الرأس أسنة أعدائى
ورماحك تلمع فى أيديهم
أهرع للصدر الحانى
أخرج نصْلى
تمنعنى الأيدى
(طيفك مذبوح فى فاتحة الوعد)
لماذا ترتعد الأحلام،
وتخنق صفحتك البيضاء
وتختلط الألفاظ

عذاباً فى شفتيك؟

(فكيف أبوح ..

لماذا انقلب القارب فى رمل الصحراء..

لماذا ترتسم الآهة فى الأفق؟)

أغوص إلى أعماق الرمل

فأبصر فوق العنق السيف

ورؤوس السدنة تقتحم جدائل ضوئك

تزهو

فاجأنى الليل الموتور، وأسأل:

أين حمامتك البيضاء؟

(لتشرب من دمىَ المهراق مليا)

أين الزيتون؟

(ليبكى شيخاً ضاع)

أنشرب فى صحته الأقداح؟

ولا نسكب فى دمعته الحرف؟

٢ ـ ورقة ضائعة من أوراق أبى الطيب المتنبى:

من أين يجىء الحزن

وقلبى دوامات للغيم الأخضر

تقتحم الغيمة أدغال النفس

وتملؤها بالمطر الحارق

وأنا أتغنى..

بالوعد الطيب من كافور

وبالنوق الممتلئة بالرغبة

وطريق يمتد من القاهرة إلى بغداد

وعرشك يا أيقونة أحلام المتعب فى الصحراء يؤججنى

* *

فى كل صباح
أخلع حنجرتى للشمس..
واطلقها فى زقزقة العصفور
أحمحم، ترتعش الأضلاع،
ويكبر وهمى
والمئذنة تكبر
يصهل فرسى
تنتصب الرهبة فى المدخل
أستوضح عبداً يرقبنى
* *
هل أهرب؟
(إن السيف يحاورنى)
* *
ويعود الصوت شجيا
وأغنى كى يرضى كافور
وينهد الجسم،
وتصمت هذى الحنجرة الذهبية
(ما أقسى حلب الشهباء
فقد أقصتنى عن محبوبة قلبى
كى تلقينى فى كَفَّىْ كافور، فأصمت
والزبد الأبيض
فوق الشفة السوداء.. يحاصرنى!
٣. افق الدهشة:

هلاَّ أصغيت إلى قليلا يا «جلجامش»؟
دع عينىْ محبوبتك الصخرية
وحديث الفقد
دع دمك الطافر بالرقة والعفو
يكتب قصته
غن اللحن الفاتن «أنكيدو»
واركب مركبة النهر
طر فى أفق الدهشه
هـأنذا أسمع وقع سنابك خيلك فى الليل القر
غن الليل الراحل
تحمله أفراسك فى كثبان الشعر
قل للشط النائى ثانيةً
ـ يا ويلك ـ أنشودتك الصفر!

٤ ـ شظايا :

تجرى الخيل
وتحمل ريح الشرق شموساً لا تنطفىء بدربى
أركض
أبحث عن وجه فى الظلماء أضاء
وكان رغيفى وثريدى
ظلى
قمرى
ثوبى
انطلقت فى الليل جياد

تخترق طريقى
أبصرتك بين الناس تطلين
وأعوامى الضائعة دوائر وهمٍ
تمتد بحجم الشفقين الأبيض والأسود
تكبر فى العينين دوائر حزن
تبتلع الأفق
تساقط دمع زجاجٍ
وجهك يخفق
قلبى يخفق
تخفق أعلام فى أيدى الجند
(مضت وابتسمت)
والشعر / الليل الفاحم.. يحضن بدراً
وجياد فى الليل تمر
اشتد لهاثى..
كيف لهذى الشمس الغاربة
ستخرج أطفالاً؟
ثوبى محشوٌ بالقش
الأرض القحلة متشققة عطشى
تشتاق الماء الدافق،
ها أنت تجيئين الليلة
رأسى مشروخ
والكلم مدى
ومقاطعه نيران تلتهم الأضلع

سقط النصفان على الصدر
وقلبى مطعون
قلبى طفل أزغب
تاه على عتباتك، وتمرد
أبصره الناس مساء
يحمل وردته المائية
يصعد نافذة القمر
ومرت أيام فجيعةِ عمرٍ ضاع
وأثمر شجر للحزن
وهأنذا أركب خيل الرغبة
أبحث عن شمسك
ـ غابت
ـ والأقمار؟
ـ اتشحت بالحزن
ـ فأين ورودك؟
...
صمتت
...
قولى لفظة شُهدٍ،
فالأيام مريره!!

٥ ـ أحزان:

أوقفتنى يا غابة الأحداق مقتحماً
بأسئلتى العنيده

أرضى المحاصرة التى شهدت خمار الوقت
تسفر عن لآلىء
فى النهايات الجديده
مستلقياً،
ظهرى إلى القاع المضرج
أمتطى حلمى،
تطاردنى الكتابات البليدهْ
صليتِ من أجلى
أكنت تميمة الأموات تسقينى رحيق النهر
تدخلنى جدائل صوتك المجتاح فى أفق السنابل
وانتشاءات الربيع
وكنت لى ألق الفجيعة.. غابة
يا دغلك المفتوح كالجرح المناور
فى مساءاتٍ مقنعةٍ
.. متى بدء القصيده؟

٦ - النرجسة تغادر ازرقها:

النرجسة تغادر أزرقها،
تتوارى عن نافذة القلب صباحاً
فمضى يبحث عنها:
«غابت منذ ربيعين طويلين»،
ويصرخ فى كل مكان:
يا نرجستى ..
أثقل قلبى هذا الحزن

وباغتنى

أين ذهبتِ؟

فإنى أقرأ أسفارك بين خرائب روحى

اسأل عنك الحراس،

الأعوان،

الفِرسان

* *

يتنازعنى الخوف،

وتأكلنى الأحزان

* *

ويحاورنى الصمت بكل بيان

...

كانت نرجستى تقرأ سفر الحب

وتهرب من نبعى الدافق كالبركان

* *

رفضت أن تشرب من نبعىْ دمْعى

حتى وقع الرجل الببغاء صريعاً

بين دفوق الماء

(أيشكو من حرمان؟)

...

...

* *

فلماذا أغلقت الليلة بوابتك الرملية دونى

يا منية روحى؟
هل أبصر فى عينيك جراح الرعب؟
(والرجل / الببغاء صريع
والنرجسة تدلت
من نافذة للقلب)

٧ ـ ذاكرة الخيول :

يهوى، فذاكرة الصهيل
تطارد اللغو الجميل
ولا تمل من القراءة فى تعاويذ الكؤوس
المرسلات على سفائنه التى ...
عاث الجنود بسيفها الموروث
من نخب السلالات التى ...
ضاع الصباح البكر فى تهليلها الطينى
فى غفو المرائى
والخريف الكستنائى البهيج

* *

مرحى إن اختلفت جراح طفولة،
تتأجج النيران فى أشجارها الخضراء
تحكى للمساء المر
كيف الوهم جاء على قواربه التى ...
يخضل فيها الأسود الطللى منتشياً
بموسيقاه
مفتتنا بقالبه المؤانس

واللغات تراود الأفعال
عن حرف يتيه بفتنة الزهو المقامر
(جمرة تخبو هنا
يتهمش الوعد العقيم
ولا يجىء لك الحسان
فتقرأ الأرماد تختتم المواسم
هذى رقصة الأموات
يسقُط بينها قطعاً
ويلغو فى تقاويم المنافى
والفصول المرعبات لها أريج)

٨ ـ قطع :

... ولماذا لا يأتى الناس
وإنى شيأتكِ عصفوراً من نار

* *

لا يخشى البوح، ويقتحم جدار الأسرار

* *

ويغنى للألق المأسور
يبشر بالزلزال
فينفك القيد،
وتندك الأسوار

* *

نبضك فى هذا الليل الموغل
ظل دليل الماء
ومفتاح الإعصار

* *

أطلقتك تقتحمين ضفاف الثلج،
فكنت الموج / الأوج / النور
الماء / العبق / الخبر السار

٩ ـ الخضراء :

صوتك يا خضراء بأذنى
أتيتِ
الأحجار تسد الدرب
فأين الأصحاب؟
ملأت الأقداح صباحاً
قلت تمور الأرض، وتمنح أطفالاً خضراً
لكنى لا أبصر فى الأفق الأسود غير الموت
أيا خضراء بقلبك أبنية
عشَّشَ فيها طير الحب
(الخضراء تغنى، تضحك)
أبصر ثديا يمتلىء،
وأكواب اللبن أراها فى أيدى الأطفال
ورأسى فى كف القاضى
(والميزان يميل)
ـ فأين البسمة؟
ـ غاضت!
ـ والأقداح؟
ـ سقيناهم!
ـ والأرض جفافٌ

يا خضراء ابتعدى عن «أنكيدو»
هذا الوحش الكاسر
يسعى خلف الكاسر جلجامش
يا خضراء ابتعدى عن مدنٍ
يسكنها القيظ
ويحكمها السيف
فإنى أبصر فى الدرب حماماً يُذبح وعناكب ...
تصرخ خضراء :
«الدار أمان
مهما نظروا تحت الأقدام
فلن يبصرنا أحد منهم
...
تدخل فى حضنىٌ قريرة عينٍ وتنام
فتعاودنى الأحلام

ديرب نجم ١٧ / ١٢ / ١٩٨١

جلسة السرداب المعتم

١ - مملكة الروح :

* ورقٌ كالأوراق، تناوله الكتبة والقراعون وأولاد الأفعى، يخرج ذات صباحٍ مطموس برماد العادة فيوزع نرجسة البهجة فوق وجوه الأمواتِ.

* ورقٌ .. أسطورة زرقته تفتح عشب رزانته للداخل والخارج، تفتك بالأزرق إذ يتخاصر والأبيض فى مملكة الروح المملوءة بفصول اللهو على متن الخيباتِ.

* ورقٌ مسكون بشظايا ريح تتشظى فى أطراف الدلتا، (لا تهدأ أفراسى .. يا قلب افرح .. واملأ أيامك برحيق الحب، وشهد الأصوات)

* ورقٌ يحمل أوسمة ونياشين (سيحملها الخونة) أخبار تتناقلها الريح،

أطارد صوتاً تنبت فى خضرته الدهشة (ويراوده الذهب البراق، ويحضن قيثار الشعر) فماذا يمنحنى قيدى المخبوء وأغلال الذات؟

* ورقٌ يتجذر فيه الرهق، فيأخذنى من نهرى كى يلقينى فى رمل الصحراء، يحاصرنى بالسلوى والمن، فأفقد رعشة طقسى، ونبوءاتى.

٢ - تدفق / توقف :

* يتدفق فيض الساحل بعزيف الجن ويسقينى كأسا : «إنك عاص، ضيعت الورده»

* داهمنى صوتك، أدخلنى دائرة الحمى.. «أنشق إلى وترين عدوين، أغنى، يأسى / فرحى، أنصب مشنقة للأحزان الممتده!»

٣ ـ وردة من سقر :

فلتـــــوقظى الآن بوحى	على شـــفـــا ألف جـــرح
كل الطيـــــــور تـنـاءت	نحـــو الرحـــيل .. بصـــبح

**

من شـاهد البـحـــر أمــضى	نوارس البـــحـــر بعـــضى
قـــــــوافـل مـن حـنـيـن	غناؤها بعض نبـــــضى!

**

قــد قـــيل ســـر وســـر	وليس للبـــــوح صــــدر
لم لا تعـــودى خـــيـــالا	كــالطهـــر، يحـدوه طُهْـرُ؟

٤ ـ محاولة :

* تلك محاولتى الأولى بعد الألف، أتفشل

حُبِّى نارك

فى رمل الأهواء المختلفة

صبحاً

ومساءْ

* *

يا بحر أجبنى

هل كنت سريرا للجسد المتعب

أم كنت الداء؟

* *

والذلة قعساء

...

بيرقك المكسور يرفرف

فى سارية الوحل،

دماؤك تنزف فى شريان القلب،

وسواقيك يزمزم،

والطحلب فى الكأس

* *

وخرافتك الملعونة تكتب خاتمة اللهو

ربيعك يتأرجح

فى مشنقة الصوت

وفى صلصلة الحبس

* *

هأنذا أعطى مائى / نيرانى

صقرى الجارح يقترف الحلم

نوارسك الليلة توغل فى جرحى

يهمى المطر الحارق

أفتح قبراً للأشعار النزقة

قبل مجيء العوسج

والكتان

وأفاويق الأحزان

٥ ـ نجمة ليلة صيف :

يا نجمة ليل صيف على ضفاف السُّبات

لا تغلقى الباب خلفى فأنت قوسُ الحياةِ

٦ ـ جلسة السرداب المعتم :

لذاك المكان

دماء التذكر ظلت تسيل

وتدفق بين الضلوع دماء الصهيل

ووجه الحبيبة يهتف

ـ فى مغرب الورد

ـ قبل الرحيل

: لماذا شموسك كانت

مدجنة خلف سرب العبير؟

وخلف غيوم الوداد الكبير؟!

٧ ـ فاطمة :

أيتها السيدة الورده

يا أيتها النُّغْمه

الطالعة جراحاً من بحر العشق

ومن سيمفونية عزف القلب الكهل

ومن طول الحرمان .. !

* *

أيتها السيدة / الخبز / الشعر / الذاكرة / الجرح / الماءُ

أنا الصحراءُ

فكيف تكونين بقيظى شجرة توت وفراشه؟

وظلالاً

تمنحنى الورد / النبض / الألوانْ؟

* *

يا أيتها الأغنية المنسية فى كورال النشوة
هأنذا اكتشف براكين كتابتك الآن

* *

هذا لفظك/ شعرك
يكتب أول سطر
فى أسفارى الصحراوية
حتى لاتصبح أشعارى هائنية
بدماء الصمت
أو الخسران

٨ ـ مفاتحة للمسالك النائية

هل فاتحنى النجم بسر مكنون
ذات مساء وضاء
عن سرب فراشات يتغشى الغيم
يحكى قصته الضوئيه
وخيول تسبح فى اليم
ونقع دماء

--

هل تنبت زهرتك عشيًا
فى عروة قلبى يا صنعاء؟

--

هل أعبر ذروة جبل «سمارة»
مؤتزراً تل الكتب العجفاء
(تحجب عن عينى الرؤية)

هل أبصرك الآن زهوراً بيضاءْ

يابلقيس الحسناء؟

فى ربوة نخلتنا الحمراء(١)؟

٩ - البيرق المكسور:

أكنت الدمعة الخرساء فى ثبج الوفا المغدور؟

فيالك نجمةً فى الليل.. تشرق لى

وتمنحنى الهنا والنور!

فتهجرنى طيور الليل، والأحزان

ويبرق بيرقى المكسور

الرياض ١٩٩٢/٧/١

---

١ - عمل الشاعر ثلاثة أعوام (١٩٨٦ - ١٩٨٩) فى مدرسة النخلة الحمراء، بزراجة الحداء، من أعمال ذمار باليمن.

من مكابدات صفوان بن أمية

١ ـ توجس:

يزف نسيمك الفردوس أطلالا

إلى عرس الضيا المقهور

يفاجئنى الربيع عباءة جرداء

فأنظر فى غياهب موتى المعلن

ويدخلنى..

طقوس الوهم والأرزاء

٢ ـ عزف آخر:

قومى ذات كرى

ـ والعازف يتدثر بالشوق ـ

أعطينا من كفيك الماء الثجاج

هأنذا أقف ببابك يأخذنى العبق الوهاج

أسأل أبوابك

نبض جدائلك الحبلى

وأحاور نجماتك

من يجهل مشرق شمسك

طلعة نورك

وعذوبة لفتاتك؟

فلماذا يفتض الصمت بكارة كلماتك؟

٣ - التائه والصحراء:

غيرك يقعى فى مملكة اليأس

يعبر فاصلة الويل

ويدخل فى جدل الرمل

وفى فرو الرأس

هج حمام من قفص الصدر مساءْ

حط على شجرة أثلٍ فرعاءْ

--

أنفخ فى البوق عشيًا وصباحا

بطبولٍ فى القلب المملوء جراحا

أخفى ظمأً لا يرويه الماء

--

حدوة فرس تملأ عينى

فوق رمال الصحراء

وأصابع كفٍ ..

فوق الجُدر الملساء

(أغشية مخاط فى الصوت الأجوف

تقطعه باستهزاء)

هذى نخلتنا الفرعاء

من يقدر أن يجتث النخلة فى القيظ

ومن يلقى فى بيداء الحسرة
عمراً ناء بحمل الأهواء؟
حدق علك تبصره فى الليل
يمشى يتقصى البعد
ويعيدك للمهد
يهرب من قاموس الفقد
وفى يده ماء الوعد
أسأل:
من سيعيد لنا أثمار النهر
ويفرح بالنصر
ويلقى أوراق الفضة
فى باب القمر
الزهر
ويهز النخلة تمطرنا بالثمر المر؟
(هأنذا أسقيكم من ماء النهر)
٤ ـ أغنية أولى إلى مكة:
ألقت فى الأرض خميرتها
رفعت فى الليل عقيرتها
هذا الماء الوقاد
(هل يعطيها الأحفاد ؟)
يشعل فى رحم الأرض/ الأنثى الأمجاد
هذى جذوة أشواقى تتشهى
أن تبصر فى الأفق الأفياء؟

هل يتخفى فينا النسغ/ الجرح؟
انتظر بلا منٍّ أعينهم
تمتلىء بآفاق الميلاد
• هل تخشين عذابات الملح
فتجرع روحى من نخب هزيمتك الملتاعة صبحاً
وعشيًا؟
هذى ليلتنا الليلاء بلا
صبح
أو
فتح!!

٥ ـ سنابل للبوار:

سنابل الأوهام مثقلةْ
بالوعد، والعطاء
والشمس، والحدائق الغناء والسحابةْ
وشهوة الكتابةْ
وعن جيوش الرمل والجراد غافلةْ
والسوق، والألوان، والشفاه ذاهلةْ
ها أنت يا مدارج النهى
تنسين فطنة الخطابه
ودفقة النجابه
.. تضيع فى البوار
والرياح قاتله

٦ ـ بدر:

وقفت مكة

أوسعنا شاعرها قولاً

عن صاحبة الأوج

وفاتنة الحج

وغنى شعراً أبلق

لكنا

إذ فاجأنا جيش محمد

خفنا

وجرينا

لم نتبين بعد الأسبق

٧ ـ مرثية للوقت الميت

مكة

--

تلك غيومك نافرة فوق جبينك

وسمائى غاضبة ومكللة

بالورد الأسود

(هذى أنت مسيجة خفقان القلب

وضوؤك يتقاطع

فى إشراقته الأخرى)

حشرة وقتك

تنخر ذيل طواويس الصمت

توعدنى بالموت!

٨ ـ أُحُد:

مائى الذى لم تحتضنه جبالك الفيحاء

أوريح الصبا

متدفقا يهوى على هام الربا
لم يستبح مائى هجيرك أو رمالك
لم تضع منا فضاءات الرؤى
متخاصرا والريح
تملؤ أفقك الوردى ألحان السما
والدرب متسع لمهرينا
وعصفوران فى أفق الخميلة
يمرحان
يغردان
والفجر متسع لحلم أحبتى،
والصولجان
فى شعرك المفروق، بسمتك الظليله
(هل يختفى فى الفجر حلمانا، ونفتقد الطفوله؟
والسنبل الذهبى يستهوى عصافير القبيله)
...
عصفورك الجواب يتلو فى استفاقته
إضاءات القرون
عصفورك المسكون بالوجع المقدس
ينتضى سيف الجنون
والليل يصرخ فى العروق
وبين رعشات السكون
الليل - منتفضاً - يرافق حلمه
فمتى يكون؟

فمتى يكون؟

ـــ

الصخر قيظ، والمدى نار، وتعترك الجبال

والعاشق المسكون بالوجع القديم

مضى تروادِه الظلال

لم يسترح

مازال يشقيه الخيال

مازال يحلم هانئاً

والحلم يسكته سؤال

فشعاب مكة لاتزال عصية

والجوع يفرغ ماتحمله السلاسل

والقلب يشقيه المآل!

٩ ـ ذاكرة للصهيل:

أطلى على ضفة الغيمة المرمرية

قومى ـ مع الصبح ـ

هذا المدى

يطرق الآن، فوق الصوارى...

صهيل الخيول

صهيل الغيوم يقرقر

فوق نهاية صمتى الملبد

فى مدن الشوق ـ ياللبرارى...!

مفجعة فى الأصائل

طمئك ـ ياعذبة الوجه ـ ضرج مدرجة الأفق

إنى تخطيت عريك، وشمك، شمسك
ادلف للنهر، نارنجة الليل
أطلقها فى فواتح صمت المغنى
بليل انتظارى
وأحرث بحرك، أهطل فى الفجر
طقساً من الضوء فى ثنيات الغبار
أغربل موسمك السرمدى
أقبل هذا الندى المتوهج بالشعر
والأغنيات الضوارى
... ضياعك كان الغياب...
بداخل شرنقة اللهو، هيا ادخلى
والعبى
فقد حاصر الوقت شريان صمتى
لماذا إذن كنت أبكى
على هجعة الروح؟
هذى الأبابيل..
ظلت تشاكسنى فى المداخل
ذاك حنينى يفجر هذا التشظى
بدهر انشطارى..!
أيفجؤه راعفاً
قبضة من نهار؟
--
وهبتك نبض المساء الذى لايعود

وأشعلت فيك حروف النواميس
عودى إلىَّ من الحرب صرحاً ومأوى
وغصناً يفاجئنى بالثمار
وناراً تطهر طعنات جرح
يسائل منذ قديم عن العشب
قبل انزياح الغبار
...
تعالىْ إلى العاشق الصب
قولى حكايا النهار البعيد
أعيدى إلى الرمل أشجاره الوارفه
وغضى عن الخيل عينا
فهذا الهشيم يباغت أحلامنا الراعفة
بذل انكسار
١٠ - لافرار:
تعالى هنا أشعلى نار عشقك
فى بؤرة الليل،
أيتها اللفظة الماكره
تعالى بلدغتك الأنثوية
صبى على النار بعضاً من الزيت
غيبوبة الصمت تنفخ قدام روحى التهاويل
تبعث نبض القصائد ليلاً من الوهم فى الذاكرهْ
(لماذا تُروِّض خيل الصباح
وتصنع للوهم جنحاً من الريح

تنشره فى البلاد،

وتنضب جنتك العامره؟

...

لماذا تبادل هذى الصغيرة

عن عرسها المشتهى بالخواء؟

وكيف تُنبِّه أفياء روحك صبحاً

إلى ظلها الخصب

كيف تعابث أنهارها

بالرمال / الدماء؟

وكيف تراودها كل صبح

ببدر كذوب الضياء؟

١١ - الأشواق المكية:

خيالك جاء دفاقاً، أيا فتانة الصوت

يفاجئنى بلفظ أخضر النبرات:

« متى تأتى؟»

أراك بجانبى ألقيت غل البعد والصمت

ويخرج جسمك الوهاج فجراً فى غلالته

فأهتف: ياخيال العاشق المجنون

كم تهوى بك السكرات للموت؟

...

أفاطم كم هنا أمضيت من أعوامْ

بعيداً عنك

أغنى - يائساً - وحدى، على فنن

فهل فاز الغريب الصابر النهام..

بتمر الشام..

أوعنب من اليمن؟

...

خيالك جاء دفاقاً، على متن من الأحلام

يميل علىّ، يمنحنى عطاء الوعد

وليل الشعر يحجبنى

ونبض الصدر يؤنسنى

أنامل وردة حمرا.. على أذنى

هديل حمامة يجتاح أسوارى،

ويمتعنى

فأسهر هائماً لمطالع الفجر

وأهتف: ياسنا عمرى!

بعيداً عنك أمضغ شارداً فكرى

بلاد بيننا : بحران من ليل ومن جمر

بلاد بيننا: جبلان من شوق ومن شعر

..

..

« متى تأتى؟»

«أراك بجانبى ألقيت غل البعد والصمت»!

١٢ ـ العودة إلى النبع:

فى حضنك الأكوان

والإيمان

والأشواق تهتف بى:

إلى القمر الوديع!
فى وجهك الصدق الذى
لم يستطعه العاشق المذعور
من رهق الحقيقة
من نداءات الربيع
ودمى المشرد فى حدائقك الصبية
صاهل فى حمحمات الشوق
يشهد ذاهلاً:
أبصرت خوفك فى الصقيع!
وحللت من توى بأرضك
مورق الخطرات
لى نبع يحاور أصله وعداً
وذى روحى، تدحرج خطوها الملتاع
فى ثلج المداخل
أرتقى،
أشدو،
أتلك جداول الإيمان فى عينيك
عذب رحيقك الممزوج بالدم
والدموع؟
أم ذى رجاحة غصنك
المسكون بالحسن البديع؟

الرياض ١٣ / ٣ / ١٩٩٤

من قصائد النثر:

١ـ دهـــــاليز

١

الموت الذى يستبق الخفافيش

يبطن أجنحته السوداء بالمتعة

لماذا تستحوذ طقوس النوم

على ذائقة المداجن؟

٢

تجاربك الأولى

ـ أيها الحامل صقرك

كما تحمل خطيئتك ـ

أهريقت

فى ضباب المدى الصموت

والجرح فتىً

يترف!

٣

تلك دموعك

تكبر

فى ألق شواردك
خيباتك وهزائمك تزهر
نياشين
على صدر الجنرال الموسمى

٤

أثوار خشبية تعاقر ظلها
تبادلك الأثواب، والأصباغ، واللعب
عابرة أهوال السبايا
وأنا أمتطى جواد جموحى
وأنسج الأفخاخ للعشب
ويداى مضمختان بالحبر!

٥

أرنو إلى عشبة طرية
علها تشرق فى مهجة الروح
أشرب الإخفاق فى الظهيرة
أرافق الحلم الذى لم يكن
أينعت عقيرة حبيبتى
البعيدة
بألف كذبة يانعة
جميلة!

٦

أستعيد نشوة الأفق المزجج بالأساطير
والغناء البهيج

أجلس على مائدة امرىء القيس
وحيداً
- لست وحدك الغريب ياحاء. عين
أنا - أيضاً - هنا غريب
(حجر الغرفة يئن
فى أول الصحو
هل يرسم خطوتك الوئيدة
فى اللوحة المعلقة المصقولة
أم يصنع قيدك الجديد؟؟

الرياض ٥ / ١٠ / ١٩٩٤

٢ ـ مــرايــا

١

من أربعة أعوام
نتبادل أنجاب الفجيعة
نتهاتف بالخاطر والحمى
ويحاصرنا الغياب

٢

أحارب شبحاً يترصدنى
بنقيق صخبه
يذبح إرث صمودى
وبكاء تيهى

٣

فى فجاج تلك المدينة
الملتحفة برذاذ الصمت
يجلد واحدنا الآخر
بسره المستباح
فلماذا لا توسعنى أحاديث وشعرا
عن نكبتك الأولى
وفجيعة الفرح المستعار؟

٤

ها نحن جميعا

من أربعة أعوام

-

-

-

الرياض ٢٩ / ١٠ / ١٩٩٤

إيقاع المـوت

هل كان الوقت ربيعاً
إذ أشدو كالبلبل.. مجروحاً
فى أنواء الدمع
وأقعى فى ركن الصحراء
وأحملق فى قامات الخوف
المسكونة بالندب
وإيقاع الداء
أهوى فى سرداب الفقد مليا
أتشبث بغبارٍ
وعجيج
وخواء
أملك فيض الفزع نهاراً
.. !
ما أسوأ ليلى..
وفضاءاتى تغمرنى
- بين مباغتة والأخرى -
بهزيم رعودى والأصداء!
ينهمر الليل على أحناء الروح
فيكسر لغتى البواحة..
صبحاً ومساءً!

يقرأ أفقا يربد،
وظل يسوِّد عين الشمس،
ويسكت فيَّ غناء!

* *

أشجاري عارية
إلا من زقو عصافيري الزرقاء!
قلبي عار
من ظل جنوني والأهواء
(كان يشاكسني ظلي)
والنار المستعرة في موج الرمل
تمشط شعر الليلكة الخضراء!
تفصح عن شهوة فعل
لا يتجذر فيه الإثم
وظلت تدعوني
- في دفء أنوثتها -
(أتراودني تلك الصحراء
بجميل نداء)
يتخاصر ظلي ونداوة تربتها،
هل أملؤها بالعشب البري
وأمطرها بالأنداء؟

* *

وردك في شرياني يمنحني ذاكرة للموت القادم
يعطيني أوراقاً سوداء
يعطيني في غبش الليل.. الداء
ينصب أفخاخاً دائمة
في نار الصحراء
لعصافيرالماء

الرياض ١٩٩٤/٥/٥

سـبع خماسيات

١ ـ بداية ونهاية

أمام الباب كان الطفل يلهو

بأبيات لها وقـــع جميلُ

وألف فراشة كانت تغنى

تداعبه.. تـــردد ما يقـول

وكم غنى محبا مستهاما

فهل تمضى على ذاك الفصول؟

وللأحلام عاش الطفل عمرا

يرافقه ـ مـع الإشـــراق ـ جيل

فلم جاءت تهاويل الليالى

إلى الطفل المـــدلل لا تحـــول

الرياض ١٩٩/١/٤

٢ ـ وقفة ليست أخيرة:

وقفت صباحا عند أول غيمة

أسائل تقويم المياه عن الصبح

عن الشمس فى برج السعود وقد بدت

صبيحة هذا اليوم تستاف من جرحى

عن الأوج، هل يعلوه فى العشق خاطر

يسائل أورادى عن الدمع فى السفح

عن الطهر فى الغيمات يسمو، وقد بدا

إلى فاطم شوق يزمجر بالبرح

وبالكلمات الطفلة اكتظ عالمى

أتركض فى ميدانه مهرة البوح؟!

الرياض ١٩٩٤/٢/١١

٣ - أول الردى:

عرفتك مغرورا أكنت مخادعا

وأنت تزين القول عشقا وإعظاما؟

أفى مدن الإمساء سارت قوافلى

تعابثها صخبا، وتنشر إظلاما؟

خرائب روحى لم تدع غير نفثة

من الروع فى قلب يحطم أصناما

ونصفى مذبوح، أفى بيد وحدتى

تنافقنى شعرا، وفكرا، وإلهاما؟

وفى الصحف السوداء كانت نهاية

لطفل غرير لم يجد فى الردى ذاما

الرياض ١٩٩٤/١/١٣

٤ - حوار:

كثرت حواراتى، وظلُّ حروفها

يتصفح الفزع المقيم الباديا

حاورت نفسى فى الظلام فلم أجد

للبرء نارا، أو بصيصا هاديا!

هل من شعاع فى الدياجير التى

فى قاع نفسى فزَّعت أفكاريا!

ماسات روحى أومضت فى وحدتى

بلهيبها هونا، فقلت: خياليا!

دع روحك الظمأى توالى عزفها

أين القصيد فيكتوى من ناريا؟

الرياض ١٩٩٤/٢/١٦

٥ ـ جراح لا تبدأ:

الجرح فى أعماقنا متوهجٌ

والنار تشعلها هنا الأحقاد

قد غاب فجْرى عن رؤاك.. ألم تَدَىْ

يافتنتى.. قد عادك العوادُ

لا أنت عاشقتى، ولابى جنة

فلم السهام تؤود من يرتاد؟

أنا لست إلا عابرا يا فتنة

فى أفقها يتجمع الأضداد

المالكون على ذراك تربعوا

عمرا، ونحن يسومنا الجلاد!

الرياض ١٩٩٣/٦/٢٢

٦- إلى سيف الله خالد بن الوليد

من أين لى سيف يقود كتيبة

ويعيد لى زمنا تولى من هنا

ويعيد لى عصرا جميلا مشرقا

بالنور صفحته تضئ الأزمنا

فكتابنا متضرج بسواده

وكتائبى عبثا تفتش عن سنا

لو أن سيفى فى يدى قبلته

فجرا متى يأتى وفاخرت الدنا

كف الرجاء إلى السماء تشوفت

شوقا، فعطفا يا إلهى نحونا..!

الرياض ٢٢/٦/١٩٩٣م

٧. البعيد:

((إلى صابر عبدالدايم، وأحمد زلط، وعبدالله شرف))

سيرنو بعيدا يرقب البرق لحظة

ويكتب سطرا فى حواشى خوافيه

أكان بياض الأفق، غصة من هوى

أكان خيالا أم ربيع صحاريه؟

هنا العشب نمام، هنا العشق والردى

هنا الرمل صخاب يبوح بما فيه

وهذى فصولى تجتلى فوق نهدة

من الخيل - لا كانت - فرارا من التيه

فأين وجوه الصحب؟ ولت إلى مدى

من البعد قد فرت، وكانت تواسيه!

الرياض ٣/١١/١٩٩٤م

قراءة فى ديوان «غناء الأشياء»

للشاعر حسين على محمد

بقلم الدكتور: حامد أبوأحمد

حسين على محمد متعدد الوجوه، فهو باحث أكاديمى وأستاذ جامعى، نشرت له حتى الآن دراسات من بينها: «دراسات معاصرة فى المسرح الشعرى» (القاهرة ١٩٨٠)، و«البطل فى المسرح الشعرى المعاصر» (القاهرة ١٩٩١)، و«شعر محمد العلائى: جمعاً ودراسة» (الزقازيق ١٩٩٣). وهو شاعر صدرت له حتى الآن ستة دواوين، منها: «ثلاثة وجوه على حوائط المدينة» (١٩٧٩)، و«شجرة الحلم»(١٩٨٠)، و«الرحيل على جواد النار» (١٩٨٥)، و«حدائق الصوت» (١٩٩٣).

وحسين على محمد معروف بدأ به فى نشر نتاجه الشعرى، ونتاج أقرانه، حتى ولو كان ذلك فى مجلة من مجلات «الماستر» صدرت فى أول الثمانينيات، وضمت مجموعة من الشعراء منهم: عبدالله السيد شرف، وصابر عبدالدايم، ومحمد سعد بيومى، ومصطفى النجار... وغيرهم، فضلا عن مؤسس المجلة وهو الشاعر حسين على محمد. ومع بداية ١٩٩٤ أخذت هذه المجلة شكلا جديدا يتفق مع تطور هذه المجموعة فنيا وماديا، ومن ثم أخذت تصدر فى كتاب غير دورى، نُشر منه حتى الآن عددان أولهما يحتوى على ملف موسع عن الشاعر حسين على محمد، والثانى يحتوى على ملف موسع أيضا عن الشاعر أحمد فضل

شبلول. ويحاول حسين على محمد أن يكتب فى المسرح الشعرى، وأن يكتب للأطفال، وكل هذا يدل على رغبته الأكيدة فى خدمة الثقافة، وتنويع طرق المعرفة.

ونأتى إلى الديوان الذى معنا وهو «غناء الأشياء» فنجده أيضا متنوع التجارب مضموناً وشكلاً، وأكثر قصائده تدور - كما نرى - حول محورين: أولهما ما يمكن أن نسميه «قصائد الفرح أو استشراف الأمل»، والثانى «قصائد الحزن» التى نراها قاسماً مشتركاً فى معظم القصائد، حتى ولو كانت القصيدة تنطوى على مسحة من أمل أو تفاؤل.

ومن قصائد الفرح: «غناء الأشياء»، و«تكوين»، و«نبوءة»، و«حلم»، و«وردة البوح»، و«الخروج من القصيدة»، و«مملكة الصمت»، و«فى البوح»، و«فضاءات». أما قصائد الحزن فمنها: «الغربان»، و«حيرة»، و«حكاية النهر»، و«وردتك الأخرى».

* * *

قصائد الفرح:

وهذه القصائد تخرج منها نبرة فرح غامرة، وذلك على نحو ما نجده فى قصيدة «غناء الأشياء» التى تبدأ هكذا:

حين تغنين مساء
عيناك تشعان بضوء لا يخفت فى الظلماء
انفاسك تحملنى لربيع النشوة
فوق جواد الزمن العداء

ويمضى الشاعر مخاطباً حبيبته أو «وردة أيامه البيضاء» كما يسميها، فيسألها، هل تبصره الآن وحيدا فى الصحراء؟ والبصر هنا وإن كان بالعينين (لأن نص البيت: هل تبصرنى عيناك الآن وحيدا فى الصحراء؟)

إلا أنه هو البصر العالى الذى أشار إليه الشاعر القديم (ولعله امرؤ القيس) فى قوله:

تنورتها من أذرعات وأهلها بيثرب أدنى دارها بصرٌ عال

لكن جلسة الشاعر وحيدا فى الصحراء لا تنطوى على حزن من أى نوع لأنه، كما ينص على ذلك بيت تال «ينتظر الأشجار تعود محملة بالأثمار» ثم إنه مازال يكتب الشعر، وهذا الشعر وشم فوق جبين تلك الحبيبة التى التقى بها الشاعر ذات صباح، وردد الاثنان أكذب ما قال الشعراء، والكذب هنا من ذلك النوع الذى كتب عنه الشاعر الأرجنتينى الشهير خورخى لويس بورخيس فى كتبه التى تحمل عنوان «تكاذيب» وكتب عنه الدكتور عبد الله الغذامى فى مقالاته «تكاذيب الأعراب» المنشورة فى كتابه «القصيدة والنص المضاد»، إنه كذب مقصود للفن، وله دلالته الخاصة التى تبتعد به عن الكذب بمفهومه الأخلاقى.

وحتى إذا لم يكن للشاعر من حبيبته إلا قبض الريح فإن ذلك لا يفت فى عضده، ولا يجعله يغرق فى بحر من الحزن، بل أن له من الممالك الأخرى ما يسليه ويصرف همه، ومن ذلك مملكة الصمت فى القصيدة التى تحمل هذا العنوان، وبدأت بقوله:

له الآن مملكة الصمت منذ ليال

له دفقة القلب، والنيل فيض الجمال

وهنا نرى الشاعر قد جمع بين أمرين يعملان على إزاحة همه، أحدهما معنوى كنائى يتمثل فى مملكة الصمت، والثانى حسى (هو دفقة القلب) أو حسى طبيعى (وهو النيل فيض الجمال). وفى نهاية القصيدة نجد عناصر القصيدة مثل: الطمى، والبرتقال، والصفصافة التى تستحم على الشط، وعطر الظلال قد جاءت إلى الشاعر فى صورة هاجس (وهو أمر

معنوى) يدفع عنه موجات الحزن، وبهذا يتلاقى المعنوى والحسى فى تشابك حميم يؤدى إلى إنتاج دلالة معينة ذات وظيفة محددة هى جعل «الجرح بعض احتمال». وفى رأيى أن هذه هى «التيمة» السائدة فى كل قصائد الديوان، حتى ما كان منها فى مجال الوطنيات أو «المدينة» أو غيرها، فالشاعر حسين على محمد له طريقة خاصة فى تضفير الحسى بالمعنوى وربطهما فى حوارية متصلة يفترق طرفا كل منها أو يأتلفان وفقا للجدلية المبثوثة على طول الأبيات أو متتاليات النص.

ومثلما هى عادة معظم الشعراء المعاصرين نجد الشاعر حسين على محمد يجمع بين المتناقضات حتى فى عناوين بعض القصائد، كما نرى فى قصيدة «وردة من دماء» أو «مملكة الصمت» أو «جحيم وردة».. إلخ، وهذه عادة ألفها الشعراء منذ أن أصدر الشاعر الرمزى الشهير شارل بودلير ديوانه «أزهار الشر»، ولنتوقف قليلا عند قصيدة «جحيم الوردة» التى مطلعها:

عناقيد جمرك تقذف بى فى الجحيم
يراودنى الماء عن غور عمر رجيم
تقافز
فوق الأعنة والفكر الذاهله

فبالإضافة إلى التناقض الواضح بين الجحيم والوردة، هناك تناقض على المستوى نفسه بين العناقيد والجمر، إذ أن العناقيد من ثمار الجنان بينما الجمر حطب جهنم، ولكن هذا التناقض الحاد يصير مألوفا إذا استوعبنا ـ على مستوى الصورة الإيحائية الحديثة ـ التناقض القائم بين الجحيم والوردة، ثم إننا نمضى مع القصائد فنجد التناقض هو أساس بنائها المعنوى، فحبيبته تمتشق الحسام، ونبضها ـ الذى هو شقشقة العصافير ـ يمثل بالنسبة له عذابا، ولكن كل هذا لا يؤثر فى إيمان الشاعر بأن كل هذا يمكن أن ينتهى عندما يتحقق الجواب على السؤال الطويل المتبلور فى الأبيات الثلاثة الأخيرة:

هل تعودين لى فى مساء
يضمخه الشوق
أيتها المهرة الصاهله؟

فالعودة هى السلاح الذى يستطيع به الشاعر أن يقهر الحزن، وحتى إذا لم تتحقق هذه العودة فإن الأمل فى تحقيقها مستمر، وهذا الجو الآمل أو المتفائل يضفى على قصائد هذا النوع نكهة خاصة، مما يجعلها تلتحق ـ بكل أحقية ـ بالقصائد التى نسمها بالفرح والبهجة.

* * *

قصائد الحزن:

وعلى العكس من ذلك هناك قصائد يلفها جو من الحزن الكامل، أو المعتم،أو المحكم، الذى قد لا نجد فيه بصيصاً ولو صغيراً جداً من أمل، ومن هذه القصائد: «الغربان» و«حيرة» و«حكاية النهر» و«وردتك الأخرى».

ولنمثل لهذا النوع من القصائد بقصيدة كاملة هى «الغربان»، تقول:

الأصفر يقتحم الذاكرة
ويعصف بالألوان
وجراد يلتهم الجثة
فى اطمئنان!
والديدان
تلهو بالجسد الجيفة
والغربان
تمتلك الساحة
...
قل لى:
ماذا تصنع بالأوزان؟

فهذه أبيات ليس فيها أى فرجة يمكن أن يظهر منها ضوء أمل، حتى لتبدو مصمتة وبداخلها هذا العالم الكئيب المتمثل فى اللون الأصفر الذى يعصف بباقى الألوان، والجراد الذى يلتهم الجثة... إلخ.

والقصيدتان: «حيرة» و«وردتك الأخرى» تشبهان القصيدة السابقة من ناحية العتمة الكاملة، لكننا نجد بعض قصائد هذا النوع - على الرغم من جو الإحكام المذكور - تحاول أن تلمس أى بصيص من نور، وذلك كما نرى فى قصيدة «إيقاع الموت» التى نقرأ فيها بيتين كهذين:

أهوى فى سرداب الفقد مليا

أتشبث بغبار

وعجيج

وخواء

فهذا التشبث فى حد ذاته دليل انفراج، حتى ولو جاء هذا الانفراج عبر أشياء لا يرجى منها خير مثل الغبار والعجيج والخواء، ولكن الدائرة المحكمة تظل تنفرج حتى تنداح فى تساؤل ينطوى على نبرة آملة على النحو التالى:

أتراودنى تلك الصحراء؟

بجميل نداء؟

ثم تعود الدائرة للانغلاق مرة أخرى فى المقطع الأخير الذى يبدأ هكذا:

وردك فى شريانى

يمنحنى ذاكرة للموت القادم.. إلخ

وكأن الشاعر فى حالة موت مستمر، أو لعله سيزيف حامل الصخرة الذى ما إن يصعد بها إلى قمة الجبل حتى تتدحرج منه نحو الأسفل فيود الهبوط.. وهكذا دواليك.

قصائد التوقيع:

ظهر خلال عقد الثمانينيات نوع من القصائد أسميناه من قبل «قصيدة التوقيع»[1]، وهى قصيدة موجهة نحو إبراز فكرة مكثفة مركزة، وقد رصدنا فى ديوان «غناء الأشياء» ثمانية قصائد من هذا النوع هى «العنكبوت»، و«امتحان»، و«الغربان»، و«أفق آخر»، و«الخوف»، و«حدالسأم»، و«تساؤل»، و«مشهد العشب». وقد سبق أن مثلنا بقصيدة «الغربان» فى موضوع الحزن، والآن نمثل بقصيدة أخرى هى قصيدة «الخوف» التى تقول:

الحزن الليلة مجنون
أيقرر موتى
فوق الأعشاب المسكونة
ببلاغة صمتى؟

فهذه القصيدة كلها قائمة على سؤال واحد من أربعة أبيات، والحزن فيها أيضا هو «التيمة» الرئيسة، لكنه يأتى ملتحما مع بلاغة الصمت الساكنة فى الأعشاب، وكأن الشاعر يدفع حزنه الذى يريد موته بصمته البليغ فوق أرض معشبة .. هكذا يتقرر الموت، وتنهض الحياة فى مواجهته، على غرار معركة الإنسان المستمرة بين الموت والحياة. وفى قصيدة «العنكبوت» (وهى أيضا من قصائد التوقيع) يتحصن الشاعر بالصمت، ويبدو أنه ـ أى الصمت ـ أصبح الملاذ الأخير فى زمن لم يعد فيه للشاعر أى دور.

* * *

---

(١) ناقشنا هذه الظاهرة بتفصيل أكثر فى دراستنا عن ديوان «بستان عائشة» للشاعر عبدالوهاب البياتى، وهى منشورة ضمن كتابنا: «عبدالوهاب البياتى فى أسبانيا»، الدار العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٢

القناع :

استخدم الشاعر حسين على محمد، فى هذا الديوان تقنية القناع فى أكثر من قصيدة، من ذلك قصيدة «من مكابدات صفوان بن أمية» وهى رابع اربع قصائد طويلة فى الديوان، والقصائد الطويلة الأخرى هى : «أوراق العمر الضائع»، و«القصيدة»، و«جولة السرداب المعتم»، وقد تضم إليها قصيدة «رسائل إلى بيجوفيتش».

وتتكون قصيدة «من مكابدات صفوان بن أمية» من اثنتى عشرة معزوفة، تتفاوت طولا أو قصراً وفقاً لامتدادات الصوت وتنويعاته. ومن عناوين هذه المقاطع أو المعزوفات : توجس، وأغنية أولى إلى مكة، وبدر، ومرثية للوقت الميت، وأحد، والأشواق المكية ... إلخ، وكما هو واضح من هذه العناوين فإن مكابدات الشاعر تنداح باتساع الأماكن المقدسة أو التى تتوجه إليها الأنظار فى مكة والمدينة، وتتلاقى هذه المكابدات مع ما فى نفسه من شوق وسعير تجاه فاطمة التى يخاطبها قائلا :

افاطم كم هنا امضيت من أعوام
بعيدا عنك
اغنى ـ يائسا ـ وحدى، على فنن
فهل فاز الغريب الصابر النهام
.. بتمر الشام
أو عنب من اليمن ؟
...

وهكذا يصنع الشاعر من خلال اللفظة الماكرة ـ كما يسميها ـ عالما من التهويمات والأشواق توغل فى الزمن كى تصب فى الحاضر الذى

يحس الشاعر بتوهانه فيه ووقوفه على أطلاله المختلفة بالطبع عن أطلال الشاعر القديم، ومن ثم فإن صبوات الشاعر الحديث هى الأخرى مختلفة وغارقة فى أوهام عدم التحديد، وهى السمة الكبرى لشاعر اللحظة الحاضرة، وربما تدل على ذلك هذه الأبيات التى يخاطب بها الشاعر جبل أحد قائلا :

مائى الذى لم تحتضنه جبالك الفيحاء
أو ريح الصبا
متدفقا يهمى على هام الربا

وتكتمل قصيدة «من مكابدات صفوان بن أمية» بقصيدة أخرى عنوانها «النائى ينفجر بوحا إلى فاطمة»، وفيها تبلغ الأشواق بالشاعر حدا لا يستطيع عنده السكوت فينفجر بحبه قائلا :

دمى طوع بنانك
شيانى هذا الدرب الصامت ... إلخ

وفى قصيدة «رسائل إلى بيجوفيتش» يبدؤها الشاعر بقصيدة تحت عنوان «كرب»، وهو عنوان يدل على حالة القرف التى وصل إليها، ويحدث الشاعر نوعا من المطابقة بينه وبين بيجوفيتش، ولهذا يقول :

فوق تفاعيلك
لم أتنبه للحيرة

والتفاعيل للشاعر أولاً، ولكنها لعزت بيجوفيتش أولاً وأخيراً، فهو الذى يقف فى مواجهة جيوش الصرب، وهو الذى تمر أرتال هؤلاء وغيرهم من الكروات سراعا فوق جثث مواطنيه أو فوق تفاعيله، لا يهم، فكل شىء غدا واحدا، وكأننا من جديد نستعيد بيت أبى العلاء المعرى الشهير :

أبكت تلكم لحمائم أم غنت　　على فرع غصنها المياد؟

وتصل درجة التشاؤم بالشاعر إلى حد أنه يتخيل مطراً ليليًا أسود يتدفق ويصرخ فى الحانه التى صارت بمثابة الحان جنائزية تعزف للموت وللحزن ولليأس وللداء.

أما قصيدة «القصيدة» فمكونة من تسعة أناشيد، وبعض الأناشيد - مثل النشيد الأول - مكونة من مقاطع. وينوع الشاعر فى أوزان هذه القصيدة، كما ينوع بين شعر التفعيلة والشعر الموزون المقفى، فضلا عن التنويع بين الأصوات وكأننا فى جوقة فيها من يرحل، ومن يتغزل، ومن يشدو. ونكتشف من خلال الشعر الموزون المقفى أن الشاعر حسين على محمد يمكن أن يبدع فيه بأفضل مما يبدع فى قصائد شعر التفعيلة، ولكن مشكلة معظم الشعراء المحدثين أنهم يظنون أن كتابة الشعر الموزون المقفى صارت «موضة قديمة» يتهم صاحبها بالتخلف!

يقول فى النشيد الخامس من القصيدة المذكورة :

كيف تبدو السماء فى عينيه   تتشظى على لظى مفرقيه
وإذا غاب فى الوداد عناق   أورق الشعر فى ربا كفيه
مر عمر، وظل ينزف شوقا   فى هواها فكيف هانت عليه؟

ويستخدم الشاعر طريقة التنويع السابقة فى قصيدة أخرى هى «أوراق العمر الضائع أو شموس غاربة»، أو فلنقل إن القصيدة السابقة تأخذ خط هذه الأخيرة، لأن الأخيرة مكتوبة عامة ١٩٨١، فى حين أن السابقة تحمل تاريخ ٥ / ١٠ / ١٩٩٤. وتمتد الأحزان أيضا فتفرش جناحيها على القصيدتين، وكأن الشاعر حسين على محمد فى حزن أبدى لا يفيق منه أبدا. **فيقول** فى المقطع رقم (٥) تحت عنوان «أحزان» :

أكنت تميمة الأموات تسقينى رحيق النهر ؟

ويقول فى المقطع رقم (٦) :

هذى رقصة الأموات

يسقط بينها قطعا ... إلخ.

فالحزن والموت هاجسان ممتدان فى فضاء الديوان، وكنا نظن أن الانتقالات المستمرة فى حياة الشاعر أو ما يسميه فى قصائده بالمنافى، وهى لاشك مناف اختيارية، نقول كنا نظن أن ذلك يمكن أن يمنح الشاعر بعض الأمان، ولكن يبدو أن شعراءنا المحدثين صاروا أكثر حزنا من الرومانسيين، فهم فى حزن دائم لا يفيقون منه أبدا. وبالطبع فإن هذه المقولة لا يمكن أن تنطبق على الجميع، ولكنها - على كل حال - صارت قاسماً مشتركاً عند الكثيرين ممن يكتبون الشعر الآن، وخاصة من الجيل الذى بلغ مرتبة الكهولة فى السن. وهذا إن دل فإنما يدل على أن هذا الجيل قد فجع فى أشياء كثيرة، منها أحلامه بالنهوض، أو قل إنه جيل النكسات المتواصلة، ومن ثم حق له الا يفيق من أحزانه.

* * *

قصائد عمودية واخرى نثرية :

ويتضمن الديوان قصائد عمودية هى : «الأرض البعيدة»، و«رجع الصدى»، و«أنت أحلى»، و«الرحيل»، و«سبع خماسيات»، وقصيدة «الأرض البعيدة» عبارة عن ثلاث مقاطع، فى كل منها رباعية، أى أربعة أبيات حسبما كتبها الشاعر، وإن كانت - فى الحقيقة - بيتين فقط هما على سبيل المثال :

ملاحم الوهم عمرى وشهة الخلق سرى

والشمس بعض حديث كم ذا يخالج صدرى !

والقصيدة - كما هو واضح من البيتين المذكورين - تحمل نفس المعانى

التى ينثرها الشاعر فى معظم قصائده عن ضياع العمر فى الوهم، وهو أمر سلبى يقابله أمر آخر إيجابى هو الخلق أو الإبداع، وبين الأمرين تدور حياة الشاعر الموزعة كذلك فى قناة ثالثة صنعتها الحبيبة بدلالها وتمنعها، كما صنعتها الظروف التى جعلت الشاعر راحلا فى الزمان وفى المكان، وفى منافى الأبجدية والخيال.

وتطل الأحزان أيضا فى هذه القصائد العمودية، على نحو ما نقرأ فى القصيدة المعنونة «الرحيل» ، والتى يقول مقطعها الثانى والأخير :

أأعبر جسم أحزانى وأمضى ... كبرق فى الليالى الدامسات؟
وصوت الفجر يهتف : يا فؤادى ... أصخ سمعا لضوضاء الحياة
غدا أشدو، غدا أشدو، وأشدو ... بأنغام الحياة الباسمات !!

ولعل القارىء قد لاحظ أن المراوحة بين الحزن والأمل هى الثنائية السائدة أيضا، ومن ثم فإن هذه القصائد العمودية يمكن أن تدخل ضمن التقسيمة التى ارتأيناها فى بداية هذا التقديم، أى قصائد الفرح البادى رغم الأحزان.

ولا ينسى حسين على محمد أن يشارك فى قصيدة النثر التى صارت منتشرة فى الإبداعات الشبابية الأخيرة، فيقدم لنا قصيدتين هما : «دهاليز»، و«مرايا»، وبالطبع تأتى هاتان القصيدتان محملتين بالصور الشعرية على الرغم من عدم وجود الوزن بمفهومه التراثى أو حتى الحداثى، كما سوف نجد الوزن «تيمة» مسيطرة أيضا. يقول فى مطلع قصيدة «دهاليز» :

الموت الذى يستبق الخفافيش
يبطن أجنحته السوداء بالمتعة

فهذه صور متتالية لا تختلف في شيء عن صور الشعر العادى، وخاصة شعر التفعيلة. ولعل الشاعر حسين على محمد يقدم لنا فى دواوين قادمة أشعاراً أخرى نثرية نلمح فيها بوضوح صوته الجديد.

* * *

وهكذا نصل إلى ختام هذا التقديم الذى لا يزيد على كونه مدخلاً إلى عالم هذا الشاعر المتنوع شكلاً ومضموناً، ونحن ننتهز هذه الفرصة لنهنئه بصدور هذا الديوان الجديد.

د. حامد ابو احمد
الرياض فى ٣٠ من رجب ١٤١٥ هـ
أول يناير ١٩٩٥م

مطابع الأهرام بكورنيش النيل